

حقائق التأويل

[217] 1 - أحدها ، ان يكون معنى (كنتم) ههنا معنى الحدوث والوجود فكأنه تعالى قال: خلقتم أو وجدتكم خير أمة [1] ، وذلك كقوله تعالى: (وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة...) [2] أي: فان وجد أو وقع أو حدث ذو عسرة ، ويسمي النحويون هذه: كان التامة ، لأنها لا تحتاج إلى خبر ، وعلى ذلك قول الشاعر في بعض الروايات [3] : إذا كان الشتاء فأدفئوني * فان الشيخ يهدمه الشتاء أي: إذا حدث ووقع ، ومثل ذلك قول الرجل: قد كان ما خفت أن يكون ، بمعنى قد حدث ووقع ، وليس يريد أنه قد مضى وانقطع ، وهذا أكشف عن هذا المعنى 2 - وقال بعضهم [4] : معنى (كنتم خير أمة) ، أي: كنتم عند الله في اللوح المحفوظ على هذه الصفة ، لتقدم علم الله فيكم بذلك. 3 - وقال بعضهم: اراد تعالى: كنتم على هذه الصفة في الكتب المتقدمة ، فلا تخالفوا ذلك وحققوه بأفعالكم ، ليكون أوكد لحجتكم على أعدائكم من أهل الكتاب الذين وجدوا في كتبهم صفاتكم فان خالفتم تلك الصفات وأخلفتم العادات ، وجد الطاعن مطعنا والغامر مغمزا .

(1) فيكون (خير أمة) منصوبا على الحال لا على الخبر لكان. (2) البقرة: 280. (3) والرواية الثانية: (إذا جاء...) وقائله الربيع بن ضبع الفزاري. و (يهدمه) في رواية: يهرمه. وقد فسر بعضهم (كان) في البيت بجاء ، وفسرها في القاموس بحدث كما هنا. (4) ينقل هذا القول عن الفراء والزجاج.